فصل
فى ذكر ملوكٍ متفرقة من العرب

من ملوك العرب عمرو بن لحى بن حارثة من ولد كهلان بن سبا كان ملكًا فى الحجاز وكان شايع الذكر فى الجاهلية وإليهِ تنسب خزاعة فيقال إنهم من سلالتهِ وكان جلوسهُ على سرير الولاية سنة مايتين وسبع للمسيح وهو أول من أتى بالأصنام إلى مكة أتى بها من أرض الشام وأقامها فى البيت الحرام ودعا الناس إلى تعظيمها والتقريب إليها والتوسل بها إلى الله تعالى وكان منها صنمٌ على صورة رجلٍ يقال لهُ إساف وصنمٌ على صورة امرأةٍ يقال لهُ نايلة وضعهما عمرو على الصفا والمروة وكـان يذبح علـيهما تجاه الكعبة وكان عمرو ينكر بعث الأجساد وهو القايل *

حيــوةٌ ثــم مــوتٌ ثــم حــشرٌ حــديث خرافــةٍ يــا أمَّ عمــرِو

وكان ملكهُ ثلثًا وثلثين سنة انتهى ومن ملوك العرب ملوك جرهم وأشهرهم مضاض بن عمرو بن الحرث الجرهمى وكان قد خرج بقومهِ من اليمن إلى الحجاز فنزل بأعلى مكة وخرج معهُ السميدع ببنى قطور فنزل بأسفلها ولبث كل فريق فى مكانهِ حينًا من الدهر فوقع الخصام بين جرهم وقطور وانتشبت بينهم الحرب فاقتتلوا اقتالا شديدًا وقُتِل السميدع فسلم قومه أمرهم إلى مضاض واصطلحوا فسرَّ مضاضٌ بذلك ونحر الجزر وطبخ الأطعمة للناس فدُعى ذلك المكان بالمطابخ وفى ذلك يقول مضاض:

ونحــن قتلنــا ســيد القــوم عنــوةً ... فأصــبح منــا وهــو حــيران يجــزعُ
ومـا كـان يبغـى أن يكـون سـواءُ ونـا ... بهــا ملكًــا حتــى أتانــا الــسَميدع
فــذاق وبــالا حــين حــاول ملكنــا ... وعـــالج منـــا غـــصة تنجـــرع
ونحــن عمرنــا البيــت كُنَّــا ولاتــهُ ... نقاتــل عنــا مــن أتانــا نــدفع
وما كان يبغى ذاك فى الناس غيرنا ... ولم يــكُ حــى قبلنــا فيــهِ يطمــع

وأقام مضاض بقومهِ فى مكة ما شاءَ الله من الزمان حتى خرج عمرو بن عامر بن ثعلبة الخزاعى من اليمن فأرسل ابنه ثعلبة إلى الجرهميين يطلب النزول عندهم إلى أن ترجع رُوَّاده من الشام فيرحل إلى حيثما أصابوه له من الأرض فأبت جرهم ذلك إباءً شديدًا واستكبروا فى أنفسهم وقوالوا والله لا نحب أن تنزلوا فتضيقوا علينا مراعينا ومواردنا فارحلوا حيث شئتم من البلاد فأغار عمرو الخزاعى عليهم والتقوا بهِ فاقتتلوا ثلثة أيام فكانت الدايرة على جرهم فانهزموا ولم يفلت منهم إلا الشريد وكان مضاض قد اعتزل عن الحرب لأنهُ لم يكن له رأى فى ذلك ولما ظفرت بهم خزاعة رحل بأهل بيتهِ ونزل فى ما يلى مكة عن بعدٍ من القوم ونادى عمرٌو فى قومهِ أن من وجد جرهميًّا فى جوار الحرم فدماه مباح له وفى تلك الأيام نزعت إبلٌ لمضاض فخرج فى طلبها حتى وجد آثرها وقد دخلت إلى مكة فمضى على الجبال من نحو أجياد حتى وقف على أبى قبيس فرأى إبلهُ تنحر فى مكة ولا سبيل له إليها فولى منصرفًا إلى أهلهِ وأنشأ يقول:

كأنْ لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنــيسٌ ولم يــسمر بمكــة ســامرُ
ولم يتربــع واســطًا فجنوبــهُ ... إلى المنحنى من ذى الآراكة حاضر
بلــى نحــن كُنــا أهلــها فأبادنــا ... صـروف الليـالى والجـدود العـواثر
وأبــدَلَنا ربــى بهــا دار غربــةٍ ... بهـا الـذيب يعـوى والعـدو المحاصـر
أقــول إذا نــام الخلــى ولم أنم ... إذا العـرش لا يَبعُـد سـهيلٌ وعـامر
فـنحن ولاة البيـت مـن بعـد نابـتٍ ... نطـوف بـهِ والخـير إذ ذاك ظـاهر

وأبلـج جـدّى خـير شـخص علتـهُ ... فابنـــاوه منـــا ونحـــن الأواصـــر
وأخرجنـــا منهـــا المليـــك نـــسيفه ... كـذلك بـين النـاس تجـرى المقـادر
فـسحت دمـوع العـين تبكـى لبلـدة ... بهـــا حَـــرَمٌ آمـــنٌ وفيهـــا المـــشاعر
وبطـن مِنى أمسى كَـأن لم يكـن بـهِ ... مضاضٌ ولا من حى عمر وعماير
فهـــل فـــرجٌ يـــأتى بـــشيءٍ نحبُّـــهُ ... وهـــل حـــذرٌ ينجيـــك ممـــا تحـــاذرُ

انتهى * ومن ملوك العرب زهير بن حباب بن هَبل بن عبد الله بن عذرة الكلبى وكان يقال له الكاهن لصحة رايةِ غزا غزواتٍ كثيرة وكان ميمون النقيبة سعيدًا فى غزواتهِ وفد على إبرهة الأشرم الحبشى بنجد فأكرمهُ وفضلهُ على من أتاه من العرب وقلَّده إمارة بنى بكر وتغلب فأقام بهم وأصابتهم سنة جديبة فثقل عليهم ما كان يطلبه منهم فخلعوا طاعتهُ وانتشبت بينهم الحرب وجرت لهم وقايع يطول شرحها ثم جمع زهير بنى كلب وأحلافه من القبايل وغزاهم على ماءِ يقال له الحنى فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انهزمت بكر وقاتلت تغلب بعض القتال فانهزمت أيضًا وقتل منهم خلقٌ كثير وساقوا أموالهم ونساءَهم وحدث فى أيام زهير أن بنى بغيض بن ريث بن غطفان خرجوا من تهامة فتعرضت لهم قبيلةٌ من مذحج فقاتلوهم واستظهرت غطفان وأصابت غنايم كثيرة فاعتزَّ القوم وقالوا والله لنتخذنَّ حرمًا مثل حرم مكة لا يُقتَل صيده ولا يعضد شجره ولا يهاج عايذه وأقاموا على بنايةِ رجلًا منهم يقال له رباح بن ظالم وبلغ ذلك زهير بن حباب فقال والله لا يكون ذلك أبدًا وزحف بقومهِ حتى وقع على بن غطفان فقالتهم وظفر بهم فقتل وسبى ونهب كثيرًا ثم منَّ على غطفان فردَّ النساءَ واستاق الأموال وانصرف إلى ديارهِ وهو يقول *

ولم تـــصبر لنـــا غطفـــان لمـــا ... تلاقينـــا وأحـــرزت النـــساءُ
ولـــولا الفـــضل منـــا مـــا رجعـــتم ... إلى عـــذراءَ شـــيمتها الحيـــاءُ
فكـــم غادرتـــا مـــن بطـــلٍ كمـــيٍّ ... لـــدى الهجـــاءِ كـــان لـــه غنـــاءُ
فـــدونكمُ ديونًـــا فاطلبوهـــا ... وآثـــارًا ودونكـــمُ اللقـــاءُ

وأنَّـــا حيـــثُ لا يخفـــى علـــيكم ... ليـــوثٌ حيـــث ينـــصهر اللـــواءُ
فخلـــى بعـــدها غطفـــان ريثًـــا ... ومـــا غطفـــان والأرض الفـــضاء
وقـــد أضـــحى لحـــى بنـــى حبـــابٍ ... فـــضاءُ الأرض والمـــاء الـــرواءُ
نفينـــا نخـــوة الأعطـــاء عنـــا ... بأرمـــــاحٍ أَســـــنَّتُهَا ظمـــــاءُ
ولـــولا صـــبرنا يـــوم التقينـــا ... لقينـــا مثلمـــا لقِيَـــت صـــداءُ
غـــداة تعرَّضـــوا لبنـــى بغـــيضٍ ... وصـــدق الطعـــن للحمقـــى شـــفاءُ
وقـــد هربـــت حـــذار المـــوت قـــينٌ ... علـــى آثـــار مـــا ذهـــب العفـــاءُ
وقـــد كنـــا رجونـــا أن يمـــدُّوا ... فاخلفنـــا مـــن القـــوم الرجـــاءُ

وكان زهير من المعّمرين فى العرب عاش عمرًا طويلًا وغزا غزواتٍ كثيرة حتى كان قلَّ ما تمضى عليهِ سنةٌ لا يغزو فيها * ومن ملوك العرب كليب بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشُم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب كان سيد بنى ربيعة فكانوا لا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمرهِ وكان عزيزًا مهيبًا بينهم لا توقد نارٌ مع نارهِ ولا ترد إبلٌ مع إبلهِ ولا تحتبى أحد فى محلسهِ ولا يتكلم إلا أن يسألهُ وفى ذلك يقول أخوه المهلهل *

نُبهـــتُ أن النـــار بعـــدك أُوقـــدت ... واســـتبَّ بعـــدك يـــا كليـــب المجلـــسُ
وتحـــدَّثوا فـــى أمـــر كـــل عظيمـــةٍ ... لـــو كنـــت حاضـــر أمـــرهم لم ينبـــسوا

وبغى كليبٌ على قومهِ فصار يحمى عليهم مواقع السحاب فلا يرعى حماهُ ويجير الوحش فلا يصادج وكان يلقى كلبًا صغيرًا فى أطراف مراعيهِ فإذا أقبل الرعاة سمعوا صوته فتاخروا عنها وكان كليب المذكور اسمهُ وائل فكانت الرعاة إذا سمعت صوت كلبهِ تقول هذا كليب وائل فلما كثر استعمال ذلك صار لقبًا له وما زال كليبٌ فى عزتهِ وزهوهِ حتى قتله جساس بن مرَّة البكرى كما سيأتى فى ذكر وقايع العرب * ومن ملوك العرب زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحرث العبسى وكان ملكه سنة خمسماية وأربع وستين للمسيح وكان له أتاوةٌ على بنى

هوازن يأتونهُ بها كل سنةٍ إلى عكاظ فى أيام موسم الحج فى الحجاز فلما كان بعض السنين أتتهُ امراةٌ من بنى رهيس بن بكر من هوازن بشيءٍ من السمن فلم يرضهُ وكان فى يدهِ قوس فدفعها بها فى صدرها فاستلقت على قفاها وانهتك سترها فغضبت هوازن من ذلك وأضمرت عليهِ السوء وكان ابنهُ شاس قد أقبل فى تلك الأيام من عند النعمان بن المنذر ومعهُ قطيفةٌ حمرا وطيوبٌ قد أهداها له فورد ماءً فى الطريق عند الظهيرة وعليهِ خباءٌ لرياح بن الأشَلِّ الغنوى فأساءَ شاس الأدب وزجرهُ الغنوى فلم يزدجر فرماه بسهمٍ فقتلهُ ودفنهُ فى رملةٍ هناك وأحرز ما كان معهُ فى بيتهِ وغمض خبره عن أبيهِ زمانًا حتى خرجت امرأة رباح بشيء مما كان مع شاس تبيعهُ فى سوق عكاظ وكان لزهير أرصادٌ على ذلك فأعلموه به فتجهز لإدراك ثأره من بنى غنى وقال يرثيه ❊

بكيت لشاسٍ حين خبرُ أنهُ ... بماء غنى آخر الليل يشربُ
لقد كان مأتاهُ الردى بجثفهِ ... وما كان لولا غرَّة الليل يسلب
قتيل غى ليس شكلٌ كشكلهِ ... كذاك لعمرى الحين للمرء يجلب
سأبكى عليهش ما بقيت بعبرة ... وحَقَّ لشاس عِبرةٌ حين تسكب
إذا سِيمَ ضيمًا كان للضيم منكرًا ... وكان لدى الهيجا يخشى يرهب

ثم أغار زهير على الغنويين فاتفقت هوازن مع خالد بن جعفر الكلابى وبنى عامر على قتال زهير لما كان فى أنفسها منه واقتتلوا جمعًا فاعتنق زهير وخالد واعتركا طويلًا على الأرض فنادى خالد بقومهِ فأقبل عليهِ جندح بن البكاءش وشرب زهيرًا بسيفهِ ضربةٍ شقَّ بها رأسهُ ثم ركبوا وتركوه فأخذتهُ أصحابهُ ومات بعد أيام وكان ابنه ورقاءَ قد ضرب خالد بن جعفر ضربة بسيفهِ فلم تؤثر فيهش شيأ فقال فى ذلك ❊

رأيت زهيرًا تحت كلكل خالدٍ ... فأقبلت أسعى كالظليم أبادرُ
ويا ليتنى من قبل أيام خالد ... ويوم زُهَير لم تلدنى تُماضِر

فَطِر خالـدٌ أن كنـت تـستطيع طـيرة ولا تقعـــن إلا وقلبـــك حـــاذر

أتتـك المنايـا أن بقيـت بـضربةٍ تفـارق منهـا العـيشَ والمـوت حاضـرُ

وبعد قتل زهير بن جذيمة جرت وقايع كثيرة بسببهِ لم نتعرض لذكرها خوف من الإطالة وكان ملكه ثلثين سنة * ومن ملوك العرب قيس بن زهير بن جذيمة العبسى كان من دهاة العرب وكان يقال له قيس الرأى لصحة رأيهِ استولى على ملك أبيهِ زهير بعد قتلهِ فى بنى عامر ونهض لإدراك ثأرهِ فاستجاش أحلافهُ وغزا العامريين فجرى بينهم قتالٌ شديدٌ ولم يُصب حاجتهُ فنثنى عنهم وأقام فى ديارهِ ما شاءَ الله حتى وقعت الحرب بين بنى عبس وفزارة بسبب سباق الخيل كما سيأتى فلحق ببنى النمر بن قاسط وكان قد افتقر وسات حالهُ فلما تمكَّن بينهم قال لهم يا بنى النمر بن قاسط قد علمتم أننى رجلٌ أَنوفٌ غيورٌ ولكننى لا آنفُ حتى أُظلم ولا أغار حتى أرى فانظروا لى امرأةً من نسايكم قد أَدَّبها الغنى وأذلها الفقر فأصابوا له امرأةً كما أراد فأقام بينهم وتنصرو ما زال عندهم إلى أن مات على دين النصرانية والله أعلم *